مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255
المجلد7، العدد 1 – مارس 2020
OEB Univ. Publish. Co.

بين جيل– الأفيون والعصا – و جيل– العشق الممنوع – مسار الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري.

Between the generation of- stick and opium- and the generation of- forbidden love- The path of the cultural identity of algerian society

د . حازم حماني*، جامعة قسنطينة–2– ، الجزائر.
hamanihazem@hotmail.com

تاريخ التسليم:(2019/09/16)، تاريخ المراجعة:(2019/10/27)،تاريخ القبول:(2019/12/12)

ملخص:

عند الحديث عن هوية الفرد، نجد أنها ما يجسد ارتباطه بالجماعة عبر مظاهرها، فبين الدين واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد ترتسم الهوية عبر التزام الشخص بما تلتزم به جماعته، أو تبني مبادئه على الأقل ليكون على ملة هوية جماعته، وتعتمد المجتمعات على مختلف مظاهر التنشئة الاجتماعية لنشر أفكارها وهويتها الثقافية بين أفرادها، بين التربية الأسرية والمناهج التربوية والخطاب المجتمعاتي..وحتى البرامج والحصص الإذاعية والتلفزية، إذ تلعب دورا هاما في نشر الفكر والعادة والتقليد، وقد عرفت كوسيلة حضور مميزا في تنشئة المجتمع عبر ما روجته من خلال البرامج الثقافية والحصص الدينية والسياسية وحتى الترفيهية ومشاهد وقصص الأفلام التاريخية والاجتماعية، لتجد نفسها في مواجهة الغزو الثقافي الذي زحف عبر الأقمار الصناعية ودخل بيوت وعقول الناس، مبدلا ومغيرا لما رسم من قبل في مخيلة الفرد عن ثقافته وانتمائه.

الكلمات المفتاحية:الهوية، التنشئة الاجتماعية، الثقافة، الفرد، الجماعة.

Abstract :

Landing the individual's identity, reveals his link with the group through his expressions. Following the example of religion, language, history and habits and customs, the identity is anchored according individual's engaging to the engaging of his group, or at pinch according to the adoption of his group's principles to be at the same identity of his group.

In order to circulate their ideas and their cultural identity among their members, societies lean on different expressions of socialisation, from family education, educational methods and the socialist speech…programs and sessions of radio and television have also an important role in the diffusion of thought, habit and imitation. They are known as an important mean in society's socialisation through presentation of cultural programs, religious and political sessions, and even distraction ones also historical and social films, to find itself facing the cultural domination through satellites that reached homes and people's mentality, changing by this, all what was recorded before in the individual's imaginary concerning his culture and his belonging.

Keywords : Identity Socialisation The culture The individual The group.

* المؤلف المراسل: د.حازم حماني،الإيميل: hamanihazem@hotmail.com

مقدمة:

تشكل الهويَّة الثقافيَّة إطارا عاما للمجتمعات يعبِّر عن وجودها الاجتماعي، فالفرد ينسب إلى شعبه من هويته، ويعرف بهويته من سلوكاته وأفعاله وتقاليده، فإذا نشأ وجد من خلال تنشئته الاجتماعية ما يؤطره ويرسم له حدود وجوده وآفاق تصوراته، حتى إذا كبر وجد نفسه يزرع هاته الأفكار والمرجعيات في الجيل الذي سيخلفه دون أن يجعل لذلك برنامجا أو خطة، في عملية مستمرة من جيل إلى جيل، تكون بعض تعاليمها محروص على نقلها تعلما، وهي القيم عادة، بينما بعضها الآخر ينقل تقليدا وتعودا، وهي العادات والتقاليد، وقد تختلف المجتمعات فيما تراه واجب النقل والتعلم على أهميته، فقد يكون لمجرد سلوك أو عادة بسيطة في مجتمع ما أهمية بالغة في المحافظة عليها وتوارثها، بينما يراها مجتمع آخر مجرد سلوك توارثه بين أجياله من عدمه لا يهم ولا يشكل خطرا على هويته وانتمائه.

إن دوام هاته العملية واستمرارها بشكل صحيح يتطلب عدم الخروج على أفكارها وثوابتها، فإذا كان التجديد كان بما لا يغير من صلب موضوع الفكرة، فإذا تعدى ذلك كانت هوية الجماعة على المحك، فقد نجد معارضة المحافظين حتى في إدخال بعض الآلات الحديثة أو التقنيات التكنولوجية في إحياء العادة، لما ترونه من تمييع لذكراها وأصالتها.

1- في معنى الهوية الثقافية:

تعرف الهوية بأنَّها الشَّفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرِّف نفسَه في علاقته بالجماعة الاجتماعيَّة التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرَّف عليه الآخرون باعتباره منتميًا إلى تِلك الجماعة، والهويَّة كيان يصير ويتطوَّر، وليست معطًى جاهزًا ونهائيًّا، فهي تتطوَّر إمَّا في اتِّجاه الانكماش، وإمَّا في اتِّجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلِها ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلُّعاتهم، وأيضًا باحتكاكها سلبًا وإيجابًا مع الهويَّات الأخرى (غنيمي ، وعبده،(د.ت)، ص21).

إن فكرة الانكماش والانتشار هي ما يؤجج مشاعر الخوف على الهوية من الزوال، ويمنح المحافظين شرعية الدعوة إلى الحفاظ على الموروث مخافة فقدانه، بينما يرى أصحاب التفتح أن الاحتكاك بالهويات الأخرى يأتي بالإيجاب أكثر من السلب، ويجعل الثقافات تتزاوج وتأخذ من بعضها البعض.

من خلال نظريَّة الهويَّة الاجتماعية -1972- فسّر **تاجفل** – Tajfel- كيف تستمدُّ الذَّات معناها من خلال السِّياق الاجتماعي الذي يَحدث من خلال العلاقات المقامة بين الجماعات، وفسِّر كيف أن التصنيفُ الاجتماعي يحدد مكانَ الفرد في المجتمع.

وقد قدم "تاجفل" مفهومَ الهويَّة الاجتماعية على أنها جزء من مفهوم الذَّات لدى الفرد، يُشتقُّ من معرفته بعضويَّته للجماعة أو الجماعات، مع اكتسابه المعاني القيميَّة والوجدانيَّة المتعلِّقة بهذه العضوية (زايد، 2006، ص ص 18 -19).

وحتى يكون للهوية مفهوم يتقاطع بين علم النفس وعلم الاجتماع والانتروبولوجيا فإن التعريف الذي وضعه **تاب** Tap قد يكون ملما بعض الشيء، فيقول: الهوية هي مجموعة المميزات الجسمية والنفسية

والمعنوية والقضائية والاجتماعية والثقافية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه وأن يقدم نفسه وأن يتعرف الناس عليه، أو التي من خلالها يشعر الفرد بأنه موجود كإنسان له جملة من الأدوار والوظائف والتي من خلالها يشعر بأنه مقبول ومعترف به كما هو من طرف الآخرين أو من طرف جماعته أو الثقافة التي ينتمي إليها (مسلم، 2009، ص89).

2- الربط بين الهوية والانتماء:

من خلال الانتماء توطد الهويَّة وتتدعم وتقوى، وتُعدُّ الهويَّة دليلاً على وجود الانتماء، فالهوية وليدة الانتماء، وحينما يدرِك الإنسانُ معنى انتمائه يستطيع أن يَعرف من هو وما هو سبب وجوده.

تذكر **وريدة خوني** إن البحث عن الهويَّة هو البحث في وحدةِ الانتماء، والتماسك الاجتماعي يحقِّق الولاء ويقوي الانتماء الذي يتضح في مدى اعتزاز الفرد بهويته والفخر بها أينما كان، فالهوية وليدة الانتماء وهي الوجود الحقيقِي له، فتنشأ منه بقَدر ما تعمل على توكيده (خوني، (د.ت)، ص 28).

وبقدر ما يكون للهوية فضل التماسك الاجتماعي، بقدر ما يكون لفقدانها أو اضطرابها انتكاسة الفرد، إذ يشعر الفرد بعدم الانتماء والعزلة، وما يصاحب ذلك من شعور باليأس والدخول في دوامة أفكار سلبية عن الذات وعن الآخرين تضر بصحته النفسية والجسدية من جهة وعلاقاته بمحيطه من جهة أخرى، وهي تتجسد في ابسط المعاني والعادات التي تقام بشكل دوري في المجتمع، مثل عادات الاحتفال بالمناسبات الدينية مثلا، حيث تقام الولائم والتجمعات والسهرات بين أفراد العائلات منفردة أو مجتمعة، ويشعر من لم يشمله الحضور بشعور حزين تجاه الأمر، ذلك انه يشعر ولو لفترة قصيرة أنه منقطع الانتماء.

3- الهوية الثقافية الجزائرية:

جاء في مقال للأستاذة **رحيمة شرقي**، أن المجتمع الجزائري جزء لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي، وبالتالي فإن الهوية الجزائرية بالمفهوم الحضاري تعني الانتماء إلى الأمة العربية الإسلامية بكل مكوناتها، وان هذه الهوية الواضحة اجتماعيا تحظى بالقبول النسبي من طرف جميع أفراد المجتمع ساهم في بلورتها محددات تبلورت في:

- الدين.
- اللغة.
- الأصل.

وهو ما يمثل خصوصية ثقافية قد تميزه عن بقية المجتمعات العربية والإسلامية، بحكم أننا نجتمع في خاصية أو اثنين ونختلف في خاصية أو اثنين..فالخصوصية الثقافية هي عناصر خاصة بمجموعة اجتماعية معينة.

ويظهر هذا الطرح في تشابه واختلاف العادات والتقاليد بين البلدين الجارين، وتظهر طقوسا مختلفة في البلدان الإسلامية في الاحتفال ببعض المناسبات الدينية رغم أن الديانة واحدة والمناسبة المحتفل بها

واحدة وقد تكون حتى المرجعية واحدة ممثلة في المذهب المتبع، ويرى أفراد مجتمع بعض السلوكات أمرا عاديا وحتى محببا بينما يجده أفراد مجتمع آخر مرفوضا رغم أن المجتمعين تجمعهم ثوابت واحدة، فقد يجد الفرد نفسه محرجا في سماع تعبير أو كلمات تعتبر عيبا أو تجريحا بينما هي عند قائلها عادية لا لبس فيها، ويجد بعض الأشخاص حرجا في لباس سكان منطقة يزورونها رغم أنها من مناطق بلدهم.

هي العادات والتقاليد التي تتحكم في الموروث الثقافي، فإذا أردت التغيير فلا بد من مواجهة كل الناس من خلال ما تعارفوا عليه من موروث، وقد تكون الحداثة تتماشى وطبيعة الموروث المنفتح على التحديث، وقد تكون متعارضة وطبيعة الموروث المنغلق على كل ما هو حديث، وعلى الرغم من بعض الاختلافات، عرف على المجتمع الجزائري المحافظة والتمسك بعاداته وتقاليده إلى حد بعيد، رغم انه استعمر من دولة أجنبية الديانة والعادات والتقاليد واللغة والقيم، ولمدة قاربت القرن ونصفه من الزمن، إلا أن مجتمعها حافظ على كثير من نقاط هويته على حساب أخرى بقيت محل صراع وتجاذب بين الأفراد، خاصة فيما يتعلق باللغة.

4- بين العصا والأفيون والعشق الممنوع

إنتاجان سينمائيان عرضا على المجتمع الجزائري، وكان لهما وقعا كبيرا بين أفراده، فما هي آثار تأثر الأفراد بكل واحد منهما:

4.1- الأفيون والعصا:

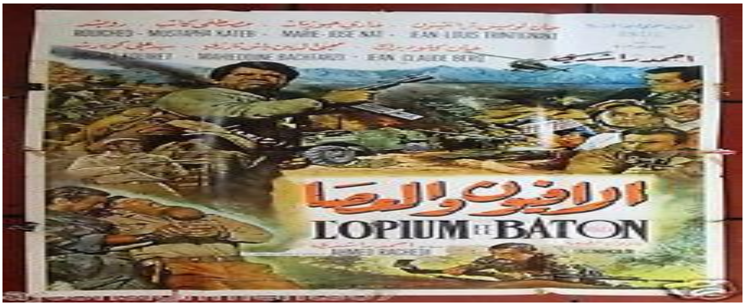

فيلم جزائري أنتج عام1969 عن الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينماتوغرافية، الفيلم للمخرج الجزائري **أحمد راشدي**.

يحكي عن سنوات النضال في الجزائر إبان الثورة الجزائرية، ومن خلال الفلم يسلط المخرج الضوء على الفكرة الاستعمارية القائلة بأنه " إذا أردت أن تحكم شعباً فاستعمل العصا، فإذا لم تنفع فاستعمل الأفيون والعصا "، فهو يقدم تجربة قرية جزائرية في جميع مظاهرها، وقد مثلت المجتمع الجزائري في شكل مصغر، أثناء المقاومة وقد تعاطفت مع الثوار، فقد كان الثائر المجاهد يمثل الفخر الذي وجب مساعدته، وتحاول السلطات الاستعمارية أن تروضها، لكن عبثاً، وبعد المحاولات الفاشلة يتقرر نسف القرية كاملة، وتصفية المقبوض عليهم من الثوار أمام أعين أهلهم، فتشهد مسيرة أهلها نحو أعالي الجبال حيث الثوار، إنها المقاومة كما يراها الذين عاشوها وتجاوبوا معها وتحملوها بما فيها من قتل وجوع وعري

وخيانة واغتصاب وكفاح وبطولة، هو فلم ثوري تاريخي يقدم الرجل المناضل من أجل القضية، والمرأة المكافحة من أجل هذا المناضل.

4.2- العشق الممنوع:

هو مسلسل تلفزيوني تركي ميلودرامي رومنسي اجتماعي مقتبس من رواية تركية شهيرة بنفس الاسم للكاتب **هاليد زيا اوشاكليجيل** كتبت ما بين عامي1899 و1900، وقد تم تصوير الرواية كمسلسل لأول مرة عام1970 بالأبيض والأسود في 6 حلقات فقط، لتتم إعادة تصويرها عام2008 .

هي قصة رجل أعمال يقرر الزواج من جديد بعد مرور 11 سنة على وفاة زوجته الأولى، من شابة حسناء من عائلة مرموقة تصغره في السن، وتتسارع الأحداث بين إفلاس، وصراعات، علاقات، حمل وإجهاض، وتنشأ خلالها علاقة محرمة بين زوجته وقريبه تعصف بالأسرة.

المسلسل يدور حول قصة مليئة بعلاقات غرامية عاطفية متشابكة ومحرمة، تختلط فيه معاني الحرية الشخصية والخيانة والإخلاص والحق في الحب وإقامة العلاقات والالتزام.

لقد عرض فلم العصا والأفيون على المشاهد فتعلق به كثير من المشاهدين، وقد جسد فكرة الطبيب المثقف الذي يتخلى عن حياة الرغد والرفاهية ويلتحق بحياة الجبل والمقاومة في سبيل الوطن، فكانت أفكاره تتطابق وأفكار مجتمع حديث العهد بالاستقلال، ما يزال يتفكر بشاعة المستعمر ومرارة فقدان مليون ونصف المليون شهيد، حيث استرجع المشاهد مع لقطات الفلم صور اقتحام المنازل وحرق القرى والمداشر، والاعتداء على الحرمات، فكانت وكأنها تحديث لذاكرة حريق لم يخمد بعد، وظهر تأثر المشاهد بالفلم في اتخاذ بعض ما جاء فيه كأفعال وأقوال راسخة رافقت الجزائريين طويلا وأظنها ماتزال ترافق البعض على قلتهم، فقد كررت الألسنة مقولة – **آو انكملك** – التي قيلت للأسير الفرنسي الذي حاول مراوغة حارسه للهرب، وكم سمعنا جملة العجوز التي تبكي ابنها الشهيد الذي أرغمها المستعمر على رؤية مشهد قتله نائحة: **يا بني ..يا بني**، وأعظم ما خلف الفلم على ألسنة الجزائريين إلى يومنا هذا..المقولة التي جعل منها المجتمع شعارا خالدا يرافقه دائما: **علي موت واقف**، عندما قالها أسير لرفيقه

وهما يواجهان الإعدام رميا برصاص جنود فرنسا، فأراد لرفيقه ميتة شامخة في مشهد مؤثر جدا، جسد فكر الشموخ والعزة ولو على مشارف الموت.

علي موت واقف أصبحت تعايش يوميات الجزائري ليعبر بها اعتزازه بمواقفه واختياراته، فقد تطابقت وطبيعة الفرد الجزائري الذي لا يرجع إلى الوراء في قراراته وأفعاله ويرى في ذلك إهانة وانتقاص من قيمته، فهو يكررها في المواقف الكبيرة كما يقولها في مواقف صغيرة لا تستدعي الثبات على الرأي، حتى اختيارات تافهة مثل لعب الورق أو الدومينو، يقولها الشيخ والكهل، وحتى الشباب..منهم من لم يشاهد الفلم ولا يعرف قصة المقولة، لكنها ترافقه على أساس هويته التي تتسم بالاندفاع للأمام ومواجهة العواقب بشجاعة، وقد وجد في عبارة **موت واقف** ما يعبر به عن هويته هاته، هوية المندفع للأمام من أجل الهدف، هوية الرجولة التي تتحمل عواقب اختياراتها مهما كان الثمن.

في المقابل، عرض مسلسل العشق الممنوع بعد ما يقارب ال 50 سنة من استقلال الجزائر، وتعلق وتأثر به الكثير من المشاهدين، وقد جاء بفكر يعتبر بمثابة ثورة الجيل الجديد..جيل ما بعد الأزمة التي عصفت بالجزائر في العشرية السوداء، إنه الحب والعشق، التعبير عن العاطفة بحرية وعيش تجربة الحب، لقد وجد المشاهد في حلقات المسلسل حريات شخصية مازالت غير مرحب بها في المجتمع، ألبسة تعتبر فاضحة للخروج أو حتى للجلوس في المنزل في مقابل الألبسة المحتشمة التي يفرضها المجتمع للخروج و**القندورة** أو **البلوزة** وهي الفستان الطويل الواسع كلباس للمرأة والبنت في المنزل، حريات شخصية كبيرة في الخروج من المنزل في كل وقت وبدون إذن وسهرات ليلية مختلطة وغيرها، لقد قدم المسلسل قصة من الحب والعواطف الجياشة والعلاقات الغرامية والجنسية المتداخلة بين أبطال المسلسل والحمل الغير شرعي والإجهاض، غير آبه بالمحرمات والحرمات والممنوعات، فكان لتلك المشاهد قبول من فئة مهمة من المجتمع تمثلت أساسا في فئة الشباب والمراهقين، فقد وجدت في حكاية المسلسل تنفيسا لها عما يفرضه المجتمع من أفكار محافظة، وأصبحنا نشاهد التسريحات وتصفيفات الشعر المختلفة والملونة، وموضات الألبسة الغريبة عنا، خاصة بعد انتشار وكثرة المسلسلات التركية والمدبلجة على هاته الشاكلة والتي أصبحت لا تفارق شاشات التلفزيون العمومي قبل الخاص، لتؤسس لمرحلة جديدة وجيل جديد نتاج هذا الغزو الثقافي، لقد أصبح المراهقون ينافسون الشباب على الحدائق ومطاعم البيتزا من أجل اللقاءات العاطفية، فلا أحد يستغرب مرور مراهقة تمسك بذراع مراهق في الشارع ووسط الناس، كما أصبحت محلات الهدايا والحلويات تعد وتحضر بشكل جدي لمناسبة عيد الحب ورأس السنة الميلادية لزبائنها من المراهقين قبل غيرهم فيما كانت هاته المناسبات تمر دون ذكر، ويمتد التأثر للكبار لتشهد مصالح البلديات تسجيل المواليد بأسماء تركية مزيجة أسماء عربية وحتى أمازيغية وبربرية عاشت طويلا بين الأجيال، وأصبح الطبق الجزائري يحتوي على أكلات مشرقية وتركية وآسيوية أكثر من المحلية التقليدية، حتى أصبحت بعض حفلات الزفاف لا تعترف بأطباق الشخشوخة والكسكسي المحلية، وتقدم الأطباق والطقوس والموسيقى التي لم تكن يوما في موروثنا ولا عاداتنا.

لقد وجدت هاته الفئة من المجتمع طريقها إلى رسم ملامح هوية جديدة بين أنقاض هوية الآباء والأجداد، ورغم معارضة المحافظين على الموروث الثقافي المحلي إلا أنها تسير إلى الأمام وتفرض نفسها على الأفراد، فبين جيل **علي موت واقف** وجيل **العشق الممنوع** مسار هوية ثقافية متغيرة...لا يعرف التوقف.

5- قائمة المراجع:

- غنيمي، أحمد، وعبدة، صلاح.(د.ت)، تربية المواطنة بين خصوصية الهوية وهيمنة العولمة، جامعة بنها، مصر.
- زايد ، أحمد.(2006)، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات، عالم التربية عدد 326، الكويت.
- خوني، وريدة.(د.ت)، دور المدرسة في تنمية قيم الانتماء الوطني، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر.
- مسلم، محمد.(2009)،الهوية في مواجهة الاندماج، دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.